هذا هو الإسلام
(٦)

الفلسفة السياسية

د. أحمد داود أوغلو

ترجمة
د. إبراهيم البيومى غانم

تقديم
د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

هذا هو الإسلام

(٦)

* الفلسفة السياسية

الطبعـــة الأولى

١٤٢٧ هـ ـــ يناير ٢٠٠٦ م

مكتبة الشروق الدولية

٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسى - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٥٦٥٩٣٩

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

هذا هو الإسلام

(٦)

الفلسفة السياسية

د. أحمد داود أوغلو

ترجمة

د. إبراهيم البيومى غانم

تقديم

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: الدكتور محمد عمارة

فارق بين «العالمية»، التى تعنى التفاعل الحضارى الطوعى بين حضارات متميزة تتفاعل ـ متبادلة المصالح والخبرات والمعارف والعلوم ـ من موقع الاستقلال الذى يحافظ على الخصوصيات، عندما تلتقى ـ هذه «العالمية» ـ عند القواسم المشتركة بين الحضارات الإنسانية المتميزة والمتفاعلة . .

فارق بين هذه «العالمية» وبين هذا الذى يسمونه «العولمة» أو «الكوكبة» أو «الكونية»، والذى هو ـ بشهادة الواقع الذى يراه الجميع : **اجتياح اقتصادى وثقافى، وهيمنة سياسية وعسكرية، من الطرف الأقوى فى النظام الدولى، على فضاءات وخصوصيات حضارات وثقافات الضعفاء والمستضعفين.**

وحتى إذا قبلنا أن ثورة وسائل الاتصال الحديثة، و«الانفجار المعلوماتى» قد جعل من عالمنا «قرية» واحدة صغيرة، فإن الواقع الصارخ الذى تعيشه هذه «القرية» يقول بأعلى صوته، بل ويرسم بالدم والأشلاء والمحاصرات والمجاعات، إن بيوت هذه «القرية» وسكانها ليسوا سواء! . . ففيهم القاتل وفيهم المقتول . . وفيهم الظالم وفيهم المظلوم . . وفيهم مغتصب الأوطان وفيهم اللاجئون المشردون . . وفيهم من يجتاح السيادة الوطنية ويخترق الأمن القومى والحضارى وفيهم من يُحْرَمُ من أبسط حقوق تقرير المصير!

وهذا الذى يتحدثون عنه باسم «الاعتماد المتبادل» بين أمم وشعوب هذه «العولمة»، ليس أكثر من أكذوبة تحتاج إلى «رسام كاريكاتير»! . .

فالاعتماد المتبادل مستحيل إذا لم يكن هناك تكافؤ فى القوى والمصالح بين أطرافه ومكوناته . . وإلا فأين هو هذا «الاعتماد المتبادل» بين من يتدجج بأكثر وأخطر وأوفر وأفتك أسلحة الدمار الشامل وبين من يُنْزَع سلاحُه؟! . .

وأين هو هذا «الاعتماد المتبادل» بين قوى الهيمنة الاقتصادية وبين من تُفْرَض عليهم «روشتة» البنك والصندوق الدوليين؟!

وأين هو هذا «الاعتماد المتبادل» بين من يفرضون ثقافتهم وقيمهم، بل وعقائدهم الدينية، وبين من تمطرهم ـ دون وقاية ـ وسائل البث المباشر ومؤسسات التبشير بهذه الثقافات والقيم والعقائد التى تجتاح قيمهم الحضارية وتشكك فى عقائدهم الدينية وتمسخ السمات القومية لأممهم وشعوبهم؟!

إن تصاعد آثار هذه «العولمة» ـ التى يتحدثون عنها ـ لا يثمر «اعتمادا متبادلا»، ولا «العالمية»، التى هى مطمح الشعوب، وأمل الحضارات . . وإنما يثمر تزايد الخلل فى علاقات الأقوياء بالمستضعفين الساعين إلى النهوض والانعتاق من مأزق التخلف والاستضعاف، الأمر الذى يفرض علينا الاهتمام بالخصوصيات الحضارية، والتمايزات الثقافية، والسمات القومية، ومعايير السيادة الوطنية، فى الوقت ذاته الذى نمارس فيه التفاعل الحضارى ـ الصحى والطوعى ـ مع مختلف الحضارات والثقافات . .

وإذا كان الإدراك العلمى الموضوعى لخصوصية الحضارة الإسلامية، فى ضوء مقارنتها بخصوصية الحضارة الغربية ـ التى تسعى لتكريس هيمنتها على عالم الإسلام ـ لا يمكن أن يتأتى ـ على النحو العلمى والموضوعى ـ إلا إذا امتلك الإنسان ناصية الفقه والوعى بسمات فلسفة النموذج الحضارى الإسلامى، وسمات فلسفة النموذج الحضارى الغربى، مع ملكة النقد المقارن بينهما، فإن صاحب هذا الكتاب ـ الدكتور أحمد داود أوغلو ـ هو نموذج للمفكر المؤهل ليقدم لنا رؤية علمية موضوعية فى هذا الميدان . .

ففى صفحات هذا الكتاب ـ على صغر حجمه ـ يتجلى عمق المؤلف فى إدراك السمات والقسمات الفارقة ـ وبخاصة «المعرفية ـ القيمية»، وأيضًا الجامعة ـ بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، بوجه عام. . وفى الفلسفة والسياسة ـ أو الفلسفة السياسية ـ على وجه الخصوص. . الأمر الذى يجعل من هذا الكتاب جهدًا متميزًا وممتازًا فى فقه التفاعل الحضارى، يفتح أبواب ونوافذ العقل المسلم على التراث الغربى ـ القديم والحديث والمعاصر ـ لكن من موقع الراشد المدرك لخصوصية هويته الإسلامية، وتميز حضارته عن غيرها من الحضارات. .

وإذا كان مناخ الحديث عن «العولمة» ـ بمعنى «التغريب» حينا. . و«الأمركة». . فى أغلب الأحايين ـ يستدعى تحصين العقل المسلم، لا بالانغلاق فهو ضار، فضلاً عن أنه غير ممكن. . ولا "بالتبعية والتقليد" للآخر، ففيهما قتل للمناعة الحضارية للأمة. . وإنما بالوعى بخصائص «الذات» وبخصائص «الآخر»، واتخاذ الموقف النقدى، الذى يتغيا الحفاظ على الذات ـ مع تجديدها ـ دون أن نبخس الآخرين ما لديهم من إيجابيات، وما يجمعنا بهم من نقاط اتفاق. .

إذا كان هذا المناخ هو السائد فى واقعنا الفكرى هذه الأيام، فإن ترجمة هذا الكتاب ـ والتى نهض بها باحث متميز هو الدكتور إبراهيم البيومى غانم ـ وتقديمه إلى الباحثين والقراء إنما يأتى فى أنسب الأوقات. .

* فسيجد القارئ فى هذا الكتاب كنزا من الرؤى المعرفية الإسلامية، التى تتوالى لتقيم بناء التمايز الفلسفى والفكرى والمعرفى بين الإسلام والفلسفة الوضعية الغربية. . فتسامى الوجود الإلهى الواحد المنزه عن الإنسان المستخلف ـ الذى سخرت له الطبيعة ـ يمثل جوهر النظرة الوجودية الإسلامية للعالم. . بينما تمثل النظرة الغربية النقيض. . فالحلول الإلهى فى الإنسان قد جعل التسامى الوجودى ـ عندما خصص وجود الإله ـ للإنسان، وليس للإله. . وهى نظرة فلسفية جامعة لمدارس وفلسفات الفكر الغربى، التى تعددت مناهجها، ولكن فى هذا الإطار العام والجامع. .

* وسيجد القارئ أن اختلاف مدارس الفكر الإسلامى إنما هو اختلاف تنوع فى المناهج، محكوم بثوابت النظرة الإسلامية لله والكون والوجود. . فهو اختلاف تنوع فى إطار فلسفة إسلامية ميزت كل مدارس التفلسف والفقه فى حضارة الإسلام. .

* وسيجد القارئ أن استقلال العقل البشرى عند المعتزلة، لا يمكن - كما يزعم البعض - أن تؤسس عليه «علمانية» تجعل الإنسان مستقلا ومكتفيا بذاته عن الشريعة الإلهية؛ لأن هذا الاستقلال قد قال به المعتزلة وهم يبحثون فى وجوب الإيمان بالله، وليس - كما فى «العلمانية» - لاستقلال الإنسان عن التدبير الإلهى، واكتفائه بنفسه عن شريعة الله.

* والتمييز بين سيادة الشريعة - التى هى وضع إلهى ثابت ومطلق ومحيط - وبين سلطة الاجتهاد الإنسانى - النسبى والظنى - والمحكوم بسيادة الشريعة الإلهية، هو مَعْلَم من معالم تميز الفلسفة الإسلامية وامتيازها..

* وفارق بين نظرية «الحلول» - حلول الله فى الإنسان - وبين نظرية «الاستخلاف» - استخلاف الله للإنسان - فالأولى تنفى التوحيد، وتنفى التنزيه، وتنقل التسامى إلى الإنسان.. بينما تحافظ الثانية على التوحيد وعلى التنزيه، مع التكريم للإنسان.. والأولى تضفى الإطلاق على المعرفة الإنسانية، والعقل الإنسانى - عندما ترى أنه «لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده» - بينما تحتفظ الثانية بالإطلاق والشمول والإحاطة للوحى الإلهى والعلم الإلهى، وتقف بالاجتهاد الإنسانى والعقل البشرى والمعرفة الإنسانية عند النسبية، فتسد الباب على السلطة الكهنوتية المطلقة لرجال الدين، والسلطة المطلقة للدولة، أو الطبقة الرأسمالية، أو الطبقة الاشتراكية فى الحزب «والبيروقراطية» الحزبية..

* ثم.. كيف أدت نظرية «كوبرنيكس» (١٤٧٣ - ١٥٤٣م) عن مركزية الشمس للكون، إلى نظرية معرفية تجعل الطبيعة هى المركز فى تصور الإنسان للعالم، فبدأت بذلك التحول - فى الفكر الغربى - ثورة، لا على المستوى الكونى فحسب، وإنما على المستويات الوجودية والمعرفية، والقيمية والاجتماعية أيضًا.. وكان ذلك هو التأسيس، «لعلمنة» المعرفة والحياة فى الفكر الغربى.. بينما ظل الفكر الإسلامى على عقيدة «وحدة الله»، على المستوى الوجودى، التى تؤدى إلى عقيدة «وحدة الحقيقة»، و«وحدة الحياة»، على نحو من التراتب يحول دون علمنة الحياة والمعرفة والقيم فى الثقافة الإسلامية..

ففى مقابل «مركزية الطبيعة» و«الإنسان الطبيعى» ـ فى الفكر الغربى ـ نجد ـ فى الفكر الإسلامى ـ «التمركز حول الله»، الواحد، المتسامى الوجود، والمنزه عن مماثلة المحدثات.. ونجد «استخلاف الإنسان»، الذى نفخ الله فيه من روحه، وسخر له قوى الطبيعة، لإعمار الأرض..

فالاستخلاف، والأمانة التى حملها الإنسان هما أصل القيم المعيارية الإسلامية.. والعهد الإلهى للإنسان الخليفة ـ أى الشريعة ـ هو أصل العقد الاجتماعى السياسى.. الأمر الذى ينفى ـ فى السياسة الإسلامية ـ الفصل بين «المقدس والعلمانى» أو بين «الدينى والدنيوى» أو بين «المادى والأخلاقى»، أو بين «الحياة الروحية والحياة المادية»، ولذلك فالدولة فى السياسة الإسلامية «دولة مثالية» غايتها تحقيق «العدالة»، وليست «دولة طبيعية».. هى دولة مثالية، تحققت فى التاريخ ـ على العهدين النبوى والراشدى ـ ولا تزال «مثالا» يستحث الأمة على تحقيقه فى الحاضر والمستقبل.. بل لقد غدت مثاليتها هذه المبرر لشرعية الدولة والسياسة فى الفكر الإسلامى.. وهى ليست مثالية بالمعنى الأفلاطونى، الذى ظلت فيه خيالا استعصى على التحقق فى التاريخ.

* وبينما جعل الغرب ـ بعد سيادة المكيافيلية ـ «القوة» معياراً للسياسة، ففصلها عن القيم، اتخذ الإسلام «الاقتراب من الصلاح والابتعاد عن الفساد» معيارا للسياسة الشرعية، فجعل القيم معياراً للسياسة، عندما ربط القوة السياسية بالتسامى الوجودى الإلهى، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق..

فالإسلام يضع العدالة هدفا للسياسة، بدلا من القوة التى هى هدف السياسة الغربية.. ومن هنا اتسعت فى الفقه الإسلامى مساحة المبحث الرامى إلى إدانة استخدام واستغلال السلطة ـ السياسية أو الاقتصادية ـ انطلاقاً من الموقف القرآنى الذى أدان فرعون (لإساءته استخدام السلطة السياسية) وأدان قارون (لإساءته استخدام السلطة الاقتصادية)، بينما امتدح ملكة سبأ (التى أحسنت التعامل مع السلطة السياسية) وأثنى على الأنصار الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..

* وفى الاقتصاد: تقوم العقلية الاقتصادية الغربية على أساس **«أن ما يتم إنتاجه يجب أن يستهلك»**، الأمر الذى أثمر ثقافة استهلاكية، يؤدى تعميمها عالميا إلى القضاء

على التعددية فى أنماط العيش وفى الثقافة وفى القانون . . بينما تقوم العقلية الاقتصادية الإسلامية على أساس مبدأ **«أن كل ما يحتاج إليه الناس ينبغى أن ينتج»**، وذلك انطلاقا من الاقتصاد المعيارى، لا الاقتصاد الوضعى.

* وعلى حين يقوم مفهوم «المواطنة» ـ فى النموذج الغربى ـ على معيار الأصل العرقى، يقوم هذا المفهوم ـ فى النموذج الإسلامى ـ على الهوية الاجتماعية السياسية، التى هى امتداد للإيمان بوحدة مسئولية الإنسان، ووحدة الحياة، انطلاقا من عقيدة التوحيد . . فالأمة ـ إسلاميًا ـ بناء على هذا المعيار مجتمع مفتوح أمام أى إنسان يقبل المسئولية، التى هى أساس تحديد الهوية، وعملية العلاقات الاجتماعية السياسية، بصرف النظر عن أصله أو جنسه أو لونه.

فوحدة الأمة ـ فى النموذج الإسلامى ـ تعتمد على الاتجاه الوجودى، المؤمن بواجب الوجود، والمتمثل فى منظومة القيم، بأكثر من اعتمادها على العوامل اللغوية (فالأمة قد تتكون من تعددية لغوية وقومية) أو العوامل الجغرافية (فلقد تتوزع الأمة بين أقاليم وولايات متعددة) أو العوامل الثقافية (فقد تتعدد فى الأمة العادات والأعراف) . . أو العوامل البيولوجية. إن وحدتها ترتبط ارتباطا مباشرا بمفهومها للألوهية، وبالتصور الإسلامى للعالم، ذلك الذى ينبع من عقيدة التوحيد.

* * *

إن أساس تمايز الفلسفة السياسية الإسلامية عن نظيرتها الغربية راجع إلى تمايز رؤية كل من الفلسفتين وكل من النسقين الفكريين للعالم، حيث تنطلق الرؤية الإسلامية من التوحيد والتنزيه، عبر التدرج الوجودى (بالاستخلاف) إلى الأسس القيمية للتصورات والثقافات السياسية . . بينما تعتمد الرؤية الغربية على تقارب المستويات الوجودية (وليس تدرجها) من خلال «تخصيص الألوهية»، ووجود عناصر مستمدة من ديانات التعدد «والحلول» (وليس التوحيد والتنزيه) الأمر الذى جعل الرؤية الغربية «علمانية»، تعتمد «مبحث القيم العقلانى»، وتضفى النسبية والذاتية حتى على الدين، فى مقابل إيمانية الرؤية الإسلامية، الملتزمة بمنظومة القيم الدينية الثابتة، والنابع ثباتها من الإطلاق الدينى.

تلك إشارات لبعض ما يقدمه هذا الكتاب من سمات للتمايز الحضارى بين الإسلام والغرب الحضارى، تجعل من هذا الكتاب الصغير عملاً كبيراً فى المعركة ضد «المركزية الحضارية الغربية»، التى يسعى الغرب وعملاؤه الحضاريون لفرضها على العالم، باسم «العولمة» هذه الأيام.

فهو كتاب بالغ الأهمية فى موضوعه.. وأيضًا من حيث التوقيت الذى نقدمه فيه إلى الباحثين والقراء..

والله نسأل أن ينفع به.. وأن يجزى خيراً المؤلف.. والمترجم.. إنه ـ سبحانه وتعالى ـ أعظم مسئول وأكرم مجيب.

د. محمد عمارة

***

عن الكتاب.. والمؤلف.. والمترجم

العنوان الأصلى لهذه الدراسة التى كتبها مؤلفها بالإنجليزية هو:
The Impacts Of Alternative Weltanschawings On Political Theories: A Comparison Of Tawhid And Ontologicol Proximity

والفكرة الجوهرية التى يقدمها الدكتور أحمد أوغلو فى هذه الدراسة هى أن اختلاف الرؤى الفلسفية للعالم ينعكس بالضرورة على النظريات السياسية الخاصة بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية: على مستوى نظام الدولة الواحدة، وأيضا على مستوى النظام الدولى بصفه عامة.

وتنقسم الدراسة إلى قسمين أساسيين: ناقش المؤلف فى القسم الأول عدداً من التساؤلات الأساسية حول العلاقة بين «الوجود» و«المعرفة» و«القيم»، و«السياسة» وذلك فى الفكر الغربى، مقارنة بالفكر الإسلامى المؤسس على «الوحى». أما القسم الثانى فقد قام فيه بتحليل أثر اختلاف الرؤى الفلسفية للعالم (كما أوضحها فى القسم الأول) فى النظريات السياسية المتعلقة بالقضايا التالية:

١- قضية تسويغ النظام السياسى الاجتماعى على أساس كونى - وجودى.

٢- قضية شرعية النظام السياسى.

٣- قضية التعددية السياسية ونظريات القوة.

٤- قضية مركزية المؤسسة السياسية وتركيز القوة مقارنة بتعدد المؤسسات الاجتماعية فى النظام السياسى.

٥- قضية «الثنائية» والتعددية فى تكوين هيكل النظام الدولى.

وسوف نترك الدراسة الآن بدون مقدمات قد تؤثر على القارئ الكريم وهو يطالعها. ونود فقط أن نذكر نبذة موجزة عن مؤلفها، وعن مترجمها:

أما **المؤلف** فهو الدكتور أحمد داود أوغلو، وهو أستاذ العلوم السياسية بجامعة البوسفور بتركيا ومتخصص فى الدراسات السياسية الإسلامية المقارنة بالفكر السياسى الغربى. ويجيد أربع لغات قراءة وكتابة وهى: التركية، والألمانية، والإنجليزية، والعربية.

وقد عمل لعدة سنوات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وهو يتولى ـ حاليا ـ رئاسة إحدى المؤسسات الوقفية العاملة فى مجال التعليم والثقافة فى تركيا، كما يشغل منصب المستشار لرئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان.. وممثل تركيا لدى الاتحاد الأوروبى.. وذلك فضلا عن قيامه بالإشراف على «مجلة الديوان» التركية؛ وهى دورية علمية متخصصة فى شئون الفكر والثقافة والفنون. وله كثير من المؤلفات والدراسات العلمية، منها الكتاب الذى نشرته مكتبة الشروق الدولية ـ عام ٢٠٠٦م ـ بعنوان «العالم الإسلامى فى مهب التحولات الحضارية»، وقد صدر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية فى سنة ١٩٩٤م بعنوان:
Civilizational Transformation And The Muslim World.

وهو يناقش فى هذا الكتاب النظريات القائلة بصدام الحضارات، وصراع الثقافات، ويرى أن ما يحدث فى العالم هو «صدام المصالح» بين القوى الكبرى المهيمنة على الساحة الدولية.

أما **مترجم** هذه الدراسة فهو الدكتور إبراهيم البيومى غانم، الخبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة. وهو حاصل على دكتوراه فى العلوم السياسية من كلية الاقتصاد ـ جامعة القاهرة ـ فى موضوع: «الأوقاف والسياسة فى مصر الحديثة»، وله عدد من البحوث والدراسات المنشورة، منها كتاب بعنوان: «الفكر السياسى للإمام حسن البنا، وكتاب «الحركة الإسلامية فى الجزائر وأزمة الديمقراطية»، وكتاب «الأوقاف والسياسة فى مصر الحديثة». هذا إلى جانب العديد من الدراسات والأبحاث الميدانية المتخصصة والمتميزة.. وعشرات المقالات.. والكثير من الإسهامات فى الندوات العلمية فى مصر وخارجها.

***

الفلسفة السياسية

• فى هذا الكتاب كنز من الرؤى المعرفية، التى تؤكد تميز حضارتنا الإسلامية عن الحضارة الغربية:

- إن تنزيه الذات الإلهية عندنا يقابله حلول الإله فى الإنسان، لدى مذاهب الفلسفة الغربية..

- والعقلانية الإسلامية: عقلانية مؤمنة، تبلورت فى إطار البحث عن الإيمان بالله.. وليست العقلانية الغربية التى تجعل الإنسان مستقلا عن الشريعة وعن الإيمان بالله..

- وبينما ظل الفكر الإسلامى على ولائه « لوحدانية الله ».. و« وحدة الحقيقة ».. و« وحدة الحياة ».. و« استخلاف الإنسان ».. تأسست العلمانية الغربية على « مركزية الطبيعة »، المستقلة عن الإله!.. وعلى « التمركز حول الإنسان »، الذى صاح: « لقد مات الله »!!..

- ومعيارية السياسة - فى الدولة الإسلامية - هى قيم العدل.. بينما معيارها هو « القوة » فى الفلسفة السياسية الغربية..

• ومؤلف هذا الكتاب فيلسوف مسلم، يحتل مكانًا متميزًا فى الفكر الإسلامى التركى.. وفى صناعة القرار بالإدارة الحالية للدولة التركية..

كما أن مترجمه هو باحث مرموق وواعد فى الساحة الفكرية الإسلامية..

• إنه كتاب صغير الحجم.. يحمل رسالة كبرى ضد العولمة والاجتياح الغربى لثقافة الإسلام.

د. محمد عمارة


6223002801824